الإسـناد الجمـعي جدلية العلاقة بين المحدّثين والمؤرخين

الأستاذ المساعد الدكتور
فلاح رزاق جاسم
جامعة الكوفة - كلية الفقه
Falahr.alradood@uokufa.edu.iq

plural attribution The dialectic of the relationship between modernists and historians

Assistant Professor Dr
Falah Razzaq Jassim
University of Kufa - Faculty of Jurisprudence

الملخّص :

تكمن أهمية الإسناد في كل أمر من أمور الإسلام سواء ما يتعلق باحاديث النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) أم بحكم من أحكام الشريعة وقد اشتدت الحاجة إلى الإسناد منذ انبثاق عملية الكذب والوضع ما دعا لوضع حد فاصل بين السؤال عن الإسناد وقبله هو ظهور الفتن والخلافات السياسية وتطورت قضية الإسناد واشتدت الحاجة اليها بظهور قواعد واسس تحكم هذا النوع فبرزت المفاهيم والمصطلحات المتعلقة به ومنه ولادة مصطلح الإسناد الجمعي الذي يعني إسناد الراوي الجامع فيه لعدة اسانيد للقيام بروايتها وسوق متونها بمتن واحد ولقد تطور هذا النوع من الإسناد منذ انبثاقه ونشأته واتّخذ عدة صور وحالات وكيفيات ولم يكن الإسناد الجمعي ليأتي عند المؤرخين في استخدامهم له فحسب بل جاء عند المحدّثين في صور وأساليب متعددة ومعالجات فنية بارعة تحكي تقدم المسلمين في هذا الاطار وابتكارهم لهذا النوع وغيره من علوم الحديث والرواية التاريخية وقد كان للقيام بالإسناد الجمعي بواعث وأسباب أدّت إلى ظهوره بما استدعى المحدّثين النقاد للقيام بموقف منه وتجلى كل ذلك ما مر ذكره في غضون ومفاصل هذا البحث والحمد لله اولاً واخراً.

الكلمات المفتاحية: الإسناد، الجمعي، العلاقة بين المحدّثين والمؤرخين.

Abstract:

The importance of attribution in each of the matters of Islam, whether related to the Hadith of the Prophet (PBUH) or by virtue of the provisions of the Sharia has intensified the need to support since the emergence of the process of lying and the situation called for a separation between the question of attribution and before the emergence of strife and political differences and developed the issue of attribution And the need for the emergence of rules and foundations governing this type emerged concepts and terminology related to it and the birth of the term collective attribution, which means to give the narrator of the whole of the Asanid to carry out the novel and market Mtunha one ton has developed this type of support since its inception and its inception and took several images and situations and modalities and M not the collective attribution to come when historians use him, but came when multiple images in modern styles and artistic treatments ingenious progress tells Muslims In this context and their innovation for this genre and other sciences of modern and historical novel has been to do the collective support motives and reasons led to the emergence of what called the modern critics to do a position of it and manifested all that was mentioned within the joints of this research and thank God first and last.

Keywords: Isnad, collective, the relationship between modernists and historians.

مقدمة البحث

إنَّ من نعم الباري تعالى على الأمة الإسلامية حفظ دينها بحفظ كتابه المجيد وسُنّة نبيّه الاكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم) اما السنة المطهرة فقد توفق لها حفاظ متقنون وجهابذة عارفون وصيارفة ناقدون ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

والمتأمل في فنون هذا العلم وعلومه المختلفة يعلم مقدار الجهد المبذول والصبر الشاق الذي بذله علماء الأمة في جمع هذا التراث وبيانه واستنباط الاحكام منه وتمييز الضعيف من الصحيح والمقبول من المردود وبذلوا الغالي والنفيس في المثابرة والجد وقد تبوأ علم الحديث مكانة كبرى لدى علماء المسلمين قديماً وحديثاً وكثرت الكتب فيه وتنوعت الاساليب في طرح مسائله وشرح مصطلحاته وترتيب أنواعه حتى وصل إلينا بهذه الحلة القشيبة جامعاً بين الاصالة والتجديد وشاهداً المراحل والتطور المارة فيه ولعل قضية الإسناد اخذت الحيز الأكبر من تلك الدراسات والابحاث فقعدوا القواعد وأسسوا الأسس وبرزت فيها نظريات وابعاد حكت الاهتمام الكبير بهذا النوع من العلم ولعل خير شاهد ما سطّر في مؤلفات الخاصة بهذا النوع وتطوره تطور مصطلحات جديدة وابتكارات تناغم عمق الافكار ودقة المطالب ومن تلك ظهور ما اصطلح عليه (الإسناد الجمعي) ونظراً لأهمية ودقة هذا النوع من المصطلح انعقد البحث لأجله وبيان المراد منه وما يدور في فلكه وقد انتظم في مبحثين تناول الاول منها مكانة الإسناد في دنيا الإسلام والمسلمين أمّا المبحث الثاني فتناول هذه العلاقة بين المحدّثين المؤرخين بما هو مسطور في غضونه وجاءت الخاتمة ملخصة بمحمل ما جاء فيه وختمته بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت واليه انيب.

المبحث الأول

أهمية الإسناد ومكانته لدى المسلمين

التعريف بالإسناد: الإسناد لغة: مصدر اسند: تقول اسند في الجبل: صعد فيه [1]، معناه ما يستند عليه ويعتمد عليه فالإسناد مأخوذ من مادة (سند) وجاء عند الجوهري ان (السند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح وفلان سند اي معتمد... والإسناد في الحديث رفعه إلى قائله [2]، اما في الاصطلاح فهو (سلسلة الرواة الذين ينقلون الحديث

اي المتن وقال بعض العلماء هو رفع الحديث إلى قائله)[٣]، والملاحظ أنَّ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة ذلك ان الصعود من أسفل الجبل إلى اعلاه يتطلب التدرج في الصعود شيئاً فشيئاً للوصول إلى اعلاه وكذلك إسناد الحديث إلى قائله فان الراوي يبدأ به من شيخه ثم شيخ شيخه... وهكذا حتى يصل إلى منتهاه والإسناد بهذا اللحاظ هو المقصود بقول بعض العلماء الإسناد من الدين وقولهم الإسناد من خصائص هذه الامة هذا وان من العلماء من جعل الإسناد مساوقاً للسند ومنهم من قال إنّ الإسناد يختلف عن السند فالسند هو سلسلة الرواة واحداً واحداً والإسناد حكاية السند بمعنى رواية السند بالتحديث أو بالأخبار أو بالعنعنة أو بالإجازة أو بالوجادة ونحوها من صنوف التحمل والاداء.

الإسناد من خصائص الامة الإسلامية:

أنعم الباري على الامة الإسلامية بنعم كثيرة ومن ضمنها اكرامه لها بخصائص وافرة ومما خص به هذه الامة الإسناد اي نقل الثقة عن الثقة للوصول إلى النبي الاكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم) وهذه الخصيصة مما انفردت به هذه الامة وامتازت بها عن غيرها من سائر الأمم. يقول ابو علي الغساني الزهري (خص الله عز وجل هذه الامة بثلاثة اشياء لم يعطها من قبلها الإسناد والانساب والاعراب) [٤]، وجعل الزهري الإسناد بمثابة السلم الذي يرتقى به إلى السطح فيقول (ايرقى السطح بلا سلم)[٥].

وعليه فان الاحاديث بلا إسناد ليست بشيء وان الإسناد درج المتون به يوصل اليها[٦].

وفي هذا الاطار بقول الشافعي (مثل الذي يطلب العلم بالا إسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب فيها افعى تلدغه وهو لا يدري)[٧]، ولعل ما يوضح قيمة الإسناد ومكانته ما قام به رحمت الله الهندي في كتابه (اظهار الحق) موضحاً فيه ان أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتب العهدين مستعرضاً لجملة من كتبهم ابتداء بالتوراة ومروراً بالأناجيل في دراسة نقدية ممتعة ختمها بقوله (فظهر مما ذكرت للناظر اللبيب انه لا يوجد مسند متصل عندهم لا لكتب العهد العتيق ولا لكتب العهد الجديد...) [٨]، لهذا ادرك المسلمون الأوائل أهمية الإسناد وقيمته واولوه عناية تامة فقدروا هذه النعمة واختصّوا بهذه الخصيصة والتزام الرواية بها وذموا من يتساهل أو

يفرط فيها ووضعوا الاصول لها وقعدوا القواعد حتى اثمرت عنايتهم تلك بجملة من الاثار والمنافع وعن أهمية الإسناد وفضله يقول سفيان الثوري (الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟ وقال ايضاً: اكثروا من الاحاديث فأنها سلاح) [٩]، ومن الاشارة إلى ان العرب قبل الإسلام كانوا يتداولون الشعر شفاهاً وكتابة فيتناقلون القصائد الطوال على تقادم الازمان فلما جاء الإسلام كان اعتناؤهم بتداول القران والسنة اشد [١٠]، وكان المسلمون لا يسالون عن حال الرواة إذا سماهم الراوي الثقة حتى وقعت الفتنة فاحتاجوا إلى الإسناد للتوثيق يقول ابن سيرين (لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[١١].

ويتبين من كلام ابن سيرين ان الفتنة هذه قد صاحبها البدع ما ادى إلى انقسام العالم الإسلامي إلى فرقتين هما أهل السنة واهل البدع ما دعا إلى صيرورة الإسناد وسيلة يحاول بها الشخص الدفاع عن نفسه ونفي مسؤولية الكذب عنه وصار لهذا المنهج الابلج والسليم الاثر الكبير في الحفاظ على حريم الشريعة وصيانتها بما لا يدع للشاك منفذ ولا للطاعن مطعن ووصد الابواب بوجه كل من تسول له نفسه العبث بهذا التراث ومن هنا يقول احمد بن نصر الداودي المالكي (ليس شيء اثقل على أهل الالحاد ولا ابغض اليهم من سماع الحديث وروايته بالإسناد)[١٢].

ولاعتبارية الإسناد الكبرى مزيّته العظمى وفائدته القصوى يتحدث الشاه ولي الله الدهلوي قائلاً (فائدة حفظ الإسناد بقاء الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات المشتملة على سعادة الدارين وذلك ظاهر لمن تأمل فانا لم نشاهد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ولم نسمع منه بلا واسطة ولم تصل احاديثه الا بالوسائط سواء كان هذا الوصل من جهة انتساخ النسخ من مثلها أو من استماع حديث من مخبره ونحو ذلك وهذه كلها انواع الإسناد فلو لم يكن الإسناد اصلاً لم تبق الشريعة[١٣].

وتأسيساً على ما تقوم صار من شرفية الراوي انتظام اسمه في سلسلة الراوين للوصول إلى اسم النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) في حلقات متسلسلة وهذا من كمال الشرف ومطلق الفضيلة سواء طالت هذه السلسلة أم قصرت فيما يطلق عليه عند أهل الفن بالعالي والنازل يقول عبد الحي الكتاني (كلما كان السند اعلى كان الراوي اقرب

إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وكان له حصة من الخيرية التي اشار اليها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقوله: خيركم أو خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم اخرجه الشيخان وغيرهما. ولهذا ثابر العلماء من ائمة الحديث على علو الإسناد، ورحلوا عن اوطانهم للأخذ عن علماء الحديث...رجاء ان يشملهم دعاؤه (صلّى الله عليه وآله وسلم) حيث قال (نَضَّر الله امرءاً سَمِعَ مقالتي فأداها كما سمعها)[١٤]، ومن هنا جاء موضوع الاجازة كأحد انواع طرائق التحمل والاداء للانخراط في سلك الراوين وصولاً إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) لأجل التيمن والتبرك يقول ابن رحمون (كان من سنة علماء الحديث طلب الاجازة في القديم والحديث حرصاً على بقاء الإسناد ومحافظة على الشريعة وهي التي نسيت في هذه الاعصار واهملوا السند والاجازة وحسبوا ان العلم بمجرد التدريس والحيازة)[١٥]، وجدير اثباته ان المحدّثين قد وضعوا أو اسسوا قواعد دقيقة ومحكمة لتحري الرجال والحكم على الرواة من حيث التوثيق والضبط والتأكيد من تدينهم وورعهم[١٦].

وجميع تلك القواعد تثبت دقة المنهج النقدي الذي يقوم عليه الإسناد وتؤكده وهذه فضيلة وكرامة ومزية اتّصفت بها الأمة الإسلامية على سائر الأمم الأخرى تؤكد عظمتها وشانيتها.

المبحث الثاني

المحدّثون والمؤرخون وجدلية الإسناد الجمعي

المراد من الإسناد الجمعي:

مصطلح الإسناد الجمعي حديث النشأة والمنشأ لم يذكر لدى المحدّثين يومذاك ولا عند المؤرخين وانما كانت بدايات ظهوره عند المؤرخين المعاصرين ممن عنوا بدراسات التاريخ الحديث وتحديداً عند الدكتور عبد العزيز الدوري ولعله المبتدع أو المبتكر لهذا المصطلح وقد شاع فيما بعد على السنة المؤرخين في دراساتهم التاريخية الحديثة ولدى التأمل في ايجاد هذا المصطلح يمكن القول بالتماس مسميات اخرى له جاءت عند قدماء المحدّثين امثال (الجمع بين الشيوخ) وكذلك (التحويل) وهي تعني لا فيما تعني هذا المصطلح الا أنّها جاءت بتلك المسميات بناء على ما كان متداولاً في تلك المدة وبالتالي لا

يضرّ البحث بالقضية بعد الاتفاق على اصل الموضوع وما هو الا اختلاف اسماء ومصطلحات لا تقدح بأصل البحث السندي والمهم هنا معرفة الإسناد الجمعي وهل انه من مختصات منهج المحدّثين أم المؤرخين ؟! أم بكليهما وما هو رأي أو موقف نقدة علماء الحديث منه؟ مع بيان الاسباب الداعية إلى استخدام هذا المصطلح، فقد جاء في تعريفه عند الدكتور عبد العزيز الدوري انه (دمج عدة روايات في خبر متسلسل)[١٧]، وقيل في تعريفه انه (توحيد المؤرخين لأسانيدهم وجمع متونهم في متن واحد)[١٨]، والملاحظ في تعريف الاخير ان الإسناد الجمعي يختص بالرواية التاريخية فحسب مع ان ارضية الواقع تشهد بان المحدّثين قد ضربوا فيه سهماً وافراً في دراساتهم للرواية الحديثية ولعل نظرة فاحصة لكتب الحديث رواية ما يقرر هذا الأمر ويجعله شاهداً عليه فضلاً عن عناية النقاد من علماء الحديث في هذا الشأن وبناء على التعريفين المتقدمين يمكن صياغة تعريف للإسناد الجمعي مفاده إسناد الراوي الجامع فيه لعدة اسانيد للقيام بروايتها وسوق متونها بمتن واحد ثم ان القيام بمطالعة الامثلة المروية فيما يخص الإسناد الجمعي يتعين وجود شرطين لتحقق هذا الإسناد هما:

أ- تحقق عدة اسانيد لا إسناد واحد.

ب- شرط كون موضوع هذه الاسانيد واحداً وان يتعلق بحديث واحد وبتحقق هذين الشرطين لكي يصدق عليه تسمية الإسناد الجمعي.

الإسناد الجمعي نشأته وتطوره:

يكاد يتّفق المختصون في الدراسات التاريخية من المعاصرين على أنّ الزهري هو البادئ بإدخال منهج الإسناد الجمعي في اطار الرواية التاريخية والتي هذا يشير المستشرق (جب) إليها بالقول (ويعزى اليه الفضل في انه كان أول من قارن بين الاحاديث المختلفة المصادر لإدماجها في حديث واحد) [١٩]، ويؤكد ذلك الدكتور عبد العزيز الدوري بقوله (وقد أسند الزهري رواياته واشتهر بقوة إسناده... ولكنه أدخل شيئاً جديداً هو الإسناد الجمعي يدمج عدة روايات في خبر متسلسل [٢٠]، ويشاطره ذات الرأي كذلك أكرم العمري قائلاً (وهو أول من استخدم طريقة جمع الاسانيد ليكتمل السياق وتتصل الاحداث دون ان تقطعها الاسانيد) [٢١]، ولكن الذي يظهر من خلال التتبع واستقراء أو متابعة الموضوع ان هناك من سبق الزهري في هذه القضية وهم

المحدّثون بالإشارة إلى هـذا المنهج سـواء مـا كـان في اطـار الروايـة الحديثيـة أم الروايـة التاريخية وقد يكون من بين هؤلاء من شيوخه ومن المرجح انه قد تأثر بهـم في هـذا الأمـر ومعه يمكن للباحث القول ان بداية الظهور للإسناد الجمعي عند اكابر التابعين من الذين كانوا في طبقة الزهري هذا لكن الذي اضافه الزهري إلى منهج الإسناد الجمعي كخطوة جديدة تضاف إلى ما سبق انه صاغ رواية واحدة بنمط واحد من مجموعة روايات لا توجد بتفاصيل متكاملة عند كل واحد من الرواة من الذين قام بجمع رواياتهم ولعل ابرز مثال على ذلك ما قام به في خبر الإفك وفيه يقول (وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم أوعى من بعض واثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً)[٢٢].

فالملاحظ هنا ان الزهري قد دمج الروايات مستخرجاً رواية واحدة منها مع ان مجموع الخبر هذا عن جميع الرواة وليس عن كل واحد منهم وبنفس هذا المسلك ما قام به ابن اسحاق في كتابه السيرة [٢٣]. واستفاد الواقدي من جهود سابقيه في منهج الإسناد الجمعي مضيفاً لذلك قيامه بسوق الحادثة أو الخبر بإسناد جمعي ثم يتبعه بروايات مفردة بطرق اخرى لكي يقدم تفصيل اخر للحادثة التاريخية وقد نهج هذا النهج كأسلوب معتمد في معركة بدر واحد والخندق وما إلى ذلك وعلى هذا المنوال سار البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) ملخصاً الخبر التاريخي من مجموع الروايات ثم يقوم بتفصيلها وجدير ذكره ان هذا المنهج الذي هو الإسناد الجمعي من خلال هذه الجهود المتقدمة قد فتح الباب على مصراعيه لمن جاء بعدهم من أهل الأخبار والآثار لاعتماد هذا المنهج وقد استفاضت استعمالاته عندهم وشاع عملهم به حتى امسى منهجاً مشتهراً في غضون الرواية خصوصاً ما كان عند الرواة ممن يقوم بجمع الحديث والخبر التاريخي بطرق مختلفة وقد تجسد هذا الأمر جلياً في كتب الروايات الحديثية وكذا كتب السير والتاريخ إذ لا يكاد يخلو كتاب منها عن هذا النهج تقريباً مما يعني ان هذه القضية كانت عند النهجين معاً سواء الرواية التاريخية أم الحديثية.

حالات أو أشكال الإسناد الجمعي:

لدى امعان النظر في عمل المؤرخين والمحدثين في مسألة الإسناد الجمعي نجده يتجسد في خمسة اشكال هي:

١- جمع الراوي بين عدد من الشيوخ ومن ثم سوق متن الحديث برواية واحدة بإهمال الفاظ الاخرين من خلال:

أ- التصريح باسم الراوي صاحب اللفظ كان يقول ولفظه لفلان ونحو ذلك.

ب- أو كان يكون بعد الجمع بين الرواة يتم التصريح بذكر أحدهم وسوق الحديث من طريقه دون التصريح بأنَّ هذا اللفظ له.

٢- جمع الراوي بين عدد من الشيوخ باختلاف اللفظ واتحاد المفاد مع سوق الحديث بالالفاظ المتفق عليها مع بيان موارد الاختلاف في ألفاظهم وممن سار على هذا النحو من المحدّثين احمد بن حنبل والإمام مسلم النيسابوري.

٣- جمع الراوي بين عدد من الشيوخ باختلافهم في اللفظ مع اتحاد المعنى وسوق الراوي الحديث عنهم بلفظ واحد دون الاشارة إلى اختلافهم في اللفظ وهو بنحوين:

أ- التنبيه على توافق المعنى بين الرواة دون تعيين صاحب اللفظ.

ب- الجمع بين الرواة المتفقين في المعنى دون إيراد لفظ واحد منهم والسكوت عن ايضاح ذلك بكونهم اتفقوا في المعنى وهذا الأمر من عمل البخاري غالباً.

٤- جمع الرواة بين عدد من الشيوخ وكل واحد من هؤلاء يروي قسماً لا يرويه الاخر فيقوم بجمع الفاظهم اجمعها سوقها بلفظ واحد من غير تمييز بينها واكثر من يستعمل الطريقة هم أهل المغازي والسير ومن التزم الإسناد في الرواية من المؤرخين والملاحظ هنا استعمال هذا المنهج عند هؤلاء يأتي أكثر من غيرهم من أهل الحديث.

ما موقف المحدّثين النقاد من الإسناد الجمعي؟

لّما كانَ الإسناد الجمعي قد تمحور بأربعة اشكال مختلفة فإنّ موقف نقاد الحديث قد اختلف ازاء هذه النماذج ومن المهم معرفة موقفهم في قضية استعمال الإسناد الجمعي، ففي النموذجين الاول والثاني لا خلاف في جوازهما بين أهل الحديث فيقول ابن الصلاح (إذا كان الحديث عند الراوي عن اثنين أو اكثر وبين روايتهما تفاوت في اللفظ والمعنى واحد كان له ان يجمع بينهما في الإسناد ثم يسوق الحديث على لفظ احدهما

خاصة ويقول اخبرنا فلان وفلان واللفظ لفلان أو وهذا لفظ فلان قال أو قالا اخبرنا فلان وما اشبه ذلك من العبارات)[٢٤].

وأما الشكل الثالث فإنّه يرجع إلى الرواية بالمعنى باختلاف الآراء فيها والذهاب إلى تجويزها واما النموذج الرابع وهو جمع لألفاظ وسوقها بلفظ واحد دون التمييز بينها فإنّه جائز بشروط منها:

١- النص على الأخذ من كل شيخ بعض الحديث وليس كله نظير ما صنعه الزهري في المثال المتقدم.

٢- الا يوجد راو ضعيف من بين الرواة المأخوذ عنهم الفاظ الحديث إذ يقول العراقي (فاذا اتفق في حديث غير هذا يعني: حديث الافك – ان كان بعض الرواة في مثل هذه الصورة ضعيفاً فذلك مقتضٍ لطرف جميع الحديث لأنه ما من قطعة من الحديث الا وجائز أنْ تكون عن ذلك الراوي المجروح[٢٥].

٣- عدم حذف الراوي لأحد الرواة الذين جمع الاحاديث عنهم سواء كان ثقة أم ضعيفاً وعلة ذلك أنه (إذا حذفت واحداً من الإسناد واثبت بجميع الحديث فقد زدت على بقية الرواة ما ليس من حديثهم وان حذفت بعض الحديث لم يعلم ان ما حذفته هو رواية من حذفت اسمه فيجب ذكر جميع الرواة في الصورتين والله اعلم) [٢٦]، ويجب الالتفات هنا إلى أنّ الأشكال المذكورة الاربعة في الإسناد الجمعي قد جوزها المحدّثون للثقة من الرواة ممن اشتهر بالحفظ والضبط بحيث يميز بين حديث شيخ من حديث اخر دون اختلاط عليه وفي هذا يقول الخليلي (ذاكرت يوماً بعض الحفاظ فقلت: البخاري لم يخرج حماد بن سلمة في الصحيح وهو زاهد ثقة؟ فقال لأنه جمع بين جماعة من اصحاب أنس فيقول: حدثنا قتادة وثابت وعبد العزيز بن صهيب وربما يخالف في بعض ذلك فقلت: اليس ابن وهب اتفقوا عليه وهو يجمع بين الاسانيد فيقول: حدثنا مالك وعمرو بن حريث والليث بن سعد والاوزاعي باحاديث ويجمع بين جماعة غيرهم؟ فقال ابن وهب أتقنُ لما يرويه واحفظ له)[٢٧]، ويعلق ابن رجب هنا فيقول (ومعنى هذا أنَّ الرجل إذا جمع بين حديث جماعة وساق الحديث سياقة واحدة فالظاهر ان لفظهم لم يتفق فلا يقبل هذا الجمع الا من حافظ متقن

لحديثه يعرف اتفاق شيوخه واختلافهم كما كان الزهري يجمع بين شيوخ له في حديث الافك وغيره)[٢٨].

وكمثال على ذلك أنّ سفيان بن عيينة كان يروي حديث القيام للجنازة عن ليث وابن ابي نجيح جميعاً عن مجاهد عن أبي معمر عن علي (عليه السلام) فيقول الحميدي هنا (وكان سفيان ربما حدثنا عن ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد عن أبي معمر فاذا وقفناه عليه لم يدخل في حديث ابن ابي نجيح ابا معمر وكان لا يقول كل واحد منهما)[٢٩].

ومعنى كلامه (وكان لا يقول كل واحد منهما) انه (إذا جمع بينهما لم يصرح بان كل واحد منهما حدثه عن مجاهد عن ابي معمر)[٣٠]، يقول يعقوب ابن ابي شيبة (كان سفيان بن عيينة ربما يحدث بالحديث عن اثنين فيسند الكلام عن احدهما فاذا حدث به عن الآخر على الانفراد اوقفه أو ارسله)[٣١]، أمّا ما كان من الراوي الضعيف فلا يقبل منه الجمع بين الشيوخ فإنّ الرواية هنا قد تكون مرفوعة عند بعض الرواة وموقوفة عند اخر أو قد يكون في سند احدها زيادة رجل ما ليس في السند الاخر ثم ان الراوي إذا كان ضعيفاً فقد لا يستطيع ان يفصل كلام فلان عن غيره أو يميز بين الموقوف والمرفوع لأجل هذا أنكر الإمام أحمد على ابن إسحاق والواقدي يقول المروذي (سألته – يعني الامام احمد – عن محمد بن اسحاق كيف هو؟ فقال هو حسن الحديث ولكن إذا جمع عن رجلين؟ قلت كيف؟ قال يحدث عن الزهري ورجل آخر فيحمل حديث هذا على هذا)[٣٢].

ويقول ابراهيم الحربي (سمعت أحمد – وذكر الواقدي – فقال ليس انكر عليه شيئاً الا جمعه الاسانيد ومجيئه بمتن واحد على سياقة واحدة عن جماعة وربما اختلفوا)[٣٣]، وما يدل على إنكار الامام أحمد على الراوي الضعيف الجمع بين الاسانيد ما يرويه ابن هانئ عنه انه يقول (ابراهيم بن سعد من احسن الناس حديثاً عن محمد بن إسحاق فإذا جمع بين رجلين فيقول حدثني فلان وفلان لم يحكمه)[٣٤]، وفيما يستظهر من قوله (لم يحكمه) فيما جاء بحق ابن اسحاق جواز الجمع بين الرواة لمن يحكم الروايات ويتقنها ويضبطها[٣٥].

ودليل ذلك رأيه في حماد بن سلمه وهو يروي حديثاً عن أيوب وقتادة عن أبي أسماء عن ابي ثعلبة الخشني عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)في انية المشركين (هذا من قبل حمّاد كان لا يقوم على مثل هذا يجمع الرجال ثم يجعله إسناداً واحداً وهم يختلفون)(٣٦).

فان قوله (كان لا يقوم على مثل هذا) يعتبر تضعيفاً لحماد اثر جمعه بين الرواة كونه يحكي الاتفاق عن ايوب و قتادة مع انهما غير متفقين ويشتبه هنا من يستدل بكلام احمد في الواقدي بدعوى رفض أهل الحديث منهج الإسناد الجمعي كون كلامه المتقدم يختص بالراوي الضعيف ولو كان كلامه مطلقاً لصار أهل الحديث إلى تضعيف كل رواية مروية في كتب الحديث ونحوها من الروايات الإسناد الجمعي في الكتب الخاصة بها والى هذا يشير ياسر احمد نور (ان موقف أهل الحديث جاء في الجملة – على خلاف موقف المؤرخين حيث رفضوا الرواية – بما فيها رواية السيرة النبوية – بهذا المنهج حيث اعتبروه خرقاً لضوابط نظرية الإسناد)(٣٧)، وهذا الكلام يصدق بحق الراوي الضعيف بجمعه بين الاسانيد أمّا الثقة فغير مشمول بهذا الكلام ومجمل القول في الإسناد الجمعي ان ما يعتقده البعض من ان انتقاد المحدّثين على ارباب المغازي والسير روايتهم الإسناد الجمعي لا يأتي في سياق نقد هذا الأمر وانما ينصرف للراوي الضعيف حال جمعه الاسانيد فضلاً عن جمع احاديث الرواة حال وجود ضعيف بينهم.

دواعي القيام بالإسناد الجمعي:

ان الإسناد الجمعي يعد اطلاله متميزة ومبدعه في اطار التحول التاريخي في قضية الإسناد لدى المسلمين ولعل وجود ما يستدعي إلى ظهور هذا النوع من الإسناد ما استدعى أهل الحديث والتاريخ لاعتماده لبواعث ومقتضيات يمكن حصرها من خلال نصوص أهل الفن وائمة التحقيق وهي:

١- قصد الاختصار فكثرة الروايات وتعدد الطرق باعث على سلوك منهج الاختصار لكثرة ما ينقله الرواة من الروايات بلفظ واحد أو بما يقترب من المعنى بطريقة التحمل عن شيخ واحد فاذا بدأ لأحد الرواة الاخذ عن اثنين أو أكثر أخذوا الرواية عن شيخ واحد فهو امام لحاظين.

إمّا سوقه إسناد كل واحد من هؤلاء مع متنه على حدة وفي هذا تطويل على القارئ وإمّا الجمع بين هؤلاء الرواة المتفقين في إسنادهم عن شيخهم ذاكراً متن الرواية وفي هذا اختصار وعدم تطويل ولهذا السبب نجد المحدّثين بوقوفهم امام هذا الحشد الكثير من الروايات ما اضطرهم إلى سلوك منهج الاختصار بالجمع بين الاسانيد على الأسس القواعد المتعارفة عندهم ونظير هذا الصنيع ما قام به المؤرخون ازاء التراث التاريخي المروي بأسانيد كثيرة فكان محتماً لديهم واضطراراً باستخدام طريقة الإسناد الجمعي بصورة لائقة وفي هذا الصدد يقول إبراهيم الحربي (سمعت المسيبي يقول: قلنا للواقدي هذا الذي تجمع الرجال تقول: حدثنا فلان وفلان وجئت بمتن واحد لو حدثتنا بحيث كل رجل على حدة، قال يطول، فقلنا له: قد رضينا، فغاب عن جمعة ثم جاءنا بغزوة احد عشرين جلداً وفي حديث البرمكي: مئة جلد فقلنا له: ردنا إلى الأمر الاول)[٣٨].

٢- تمتين روابط النص التاريخي: فلكثرة الروايات التاريخية وتعدد طرق أسانيدها ما قد يحصل معه التقطيع وبتره ولئلا يظهر بصورة غير مترابطة فقد جاء استعمال الإسناد الجمعي كي تتكامل صورته وتترابط اجزاؤه في تسلسلها للأحداث وهذا الأمر يتمحور من خلال[٣٩]:

أ- جمع كل الطرق للنص التاريخي: وهو عين ما قام به الواقدي في سلوكه لمنهج المحدّثين.

ب- فرز أواصر النص التاريخي للوقوف على موارد الاتفاق بين جميع الروايات فضلاً عن معرفة الزيادات المختصة بها بعض الروايات دون الأخرى كما جاء في قول الزهري في خبر الافك.

ج- الاعداد التكاملي للنص التاريخي إذ ان بجمع المتفق من الروايات بإهمال المتكرر منها واضافة الزيادات المشتملة عليها بعض الروايات ينتج لنا نصاً متكاملاً وسليماً وجلياً مثاله ما قاله الواقدي فيما جاء بغزوة احد (وقد جمعت كل الذي حدثوني قالوا...)[٤٠].

وكقول البلاذري (اخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان سقت حديثهم واختصرته ورددت من بعضه على بعض)[٤١]، ولم يكن هذا الكلام منه

مختصاً بما في النص التاريخي بل هو مستعمل لدى أهل الحديث لقولهم: دخل حديث بعضهم في بعض يقول القاسمي (إذا روى الحفاظ حديثاً في صحاحهم أو سننهم أو مسانيدهم واتفقوا في لفظه أو معناه ووجد عند كل منهم ما انفرد به عن الباقين وأراد راوٍ ان يخرجه عنهم بسياق واحد فيقول حالتئذ اخرج فلان وفلان وفلان دخل حديث بعضهم في بعض اشارة إلى ان اللفظ لمجموعهم وان عند كل ما انفرد به عن غيره) [٤٢]، وبذلك أنّ بواعث وموجبات الإسناد الجمعي تستدعي المحدّثين والمؤرخين للقيام بهذا المسلك بضميمة براعة الفن في هذا المضمار مع دقة الابتكار لهذا النوع من الصنيع وبه يثبت العلماء المسلمون – بطرفيهم – اسبقيتهم وتقدمهم وبراعتهم على سائر الأمم كون هذا الأمر ونحوه صار من خصوصياتهم وابداعاتهم وما ذاك الا لمدى تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على مناهجهم وانعكاسهما على سلوكياتهم العلمية والمعرفية.

هوامش البحث

(١) الفيروز ابادي: القاموس المحيط ص٣٧٠.
(٢) الجوهري: الصحاح ٤٨٩/٢.
(٣) ينظر: ابن جماعة المنهل الروي ١٨/١.
(٤) السيوطي: تدريب الراوي ص٣٥٩.
(٥) ابن رجب: شرح علل الترمذي ص٨٨.
(٦) الخطيب البغدادي: الكفاية ص٥٥٧.
(٧) الحاكم: المدخل في اصول الحديث ص٢.
(٨) المصدر نفسه ص٣.
(٩) الصالح صبحي: علوم الحديث ومصطلحه ص١٤.
(١٠) ينظر: مقدمة صحيح مسلم ١٥/١.
(١١) الدارمي – سنين الدارمي ١١٢/١.
(١٢) مجموعة الفتاوى ٩/١.
(١٣) الكتاني: فهرس الفهارس ٨٢/١.
(١٤) فهرس الفهارس ٨٢/١.
(١٥) المصدر نفسه والصفحة.

(١٦) ينظر في تفصيل تلك القواعد النووي: التقريب والتيسير ص١٢ وما بعدها.
(١٧) الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب ص٢٨.
(١٨) عدنان ملحم: المؤرخون العرب والفتنة الكبرى ص٤١.
(١٩)جب: علم التاريخ ص٥٥.
(٢٠) نشأة علم التاريخ عند العرب ص٢٨.
(٢١) العمري اكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة ٥٥/١.
(٢٢) البخاري الصحيح كتاب الشهادات ص٤٣١ – مسلم: صحيح مسلم كتاب التوبة ص١٢٠٥.
(٢٣) ينظر: ابن اسحاق: كتاب السيرة للاطلاع على هذا الأمر.
(٢٤) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ص١٩٤ في النوع (٢٦) في الفرع الحادي عشر.
(٢٥) العراقي: شرح التبصرة والتذكرة ١٦/٢.
(٢٦) المصدر نفسه والصفحة.
(٢٧) الخليلي: الارشاد في معرفة علوم الحديث ٤١٧/١.
(٢٨) ابن رجب: شرح علل الترمذي ٦٧٦/٢.
(٢٩) مسند الحميدي ٢٨/١.
(٣٠) الاعظمي في تعليقه على مسند الحميدي ٢٨/١.
(٣١) شرح علل الترمذي ٧٦٥/٢.
(٣٢) علل الحديث ومعرفة الرجال ص٤٩.
(٣٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢٠/٤.
(٣٤) مسائل الامام احمد برواية ابن هانئ ٢٢٥/٢.
(٣٥) ينظر: منهج الامام احمد في اعلال الاحاديث ص٣٧٥.
(٣٦) شرح علل الترمذي ٦٧٥/٢.
(٣٧) مصادر السيرة النبوية بين المحدّثين والمؤرخين ص٤٠٥.
(٣٨) تاريخ بغداد ١١/٤.
(٣٩) ينظر: مصادر السيرة النبوية بين المحدّثين والمؤرخين ص٤٧٦ وما بعدها.
(٤٠) الواقدي المغازي ١٨٥/١.
(٤١) البلاذري: فتوح البلدان ص٩.
(٤٢) القاسمي: قواعد التحديث ص٣٦١.

قائمة المصادر والمراجع

١- أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال تحقيق وصي الله بن محمد – دار الخاني – الرياض – ط٢ /١٤٢٢.

٢- ابن اسحاق محمد: السيرة النبوية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ / ١٤٢٤هـ.

٣- البخاري محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري – دار الفيحاء – دمشق – دار السلام – الرياض – ط٢ / ١٤١٩هـ.

٤- بشير علي عمر: منهج الامام احمد في اعلال الاحاديث – وقف السلام الخيري – الرياض – ط١ / ١٤٢٥هـ.

٥- البلاذري احمد بن يحيى: فتوح البلدان – مؤسسة الاعلمي – بيروت – ١٩٧٤م.

٦- جب:علم التاريخ ترجمة احمد خورشيد واخرين – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ط١ / ١٩٨٣م.

٧- ابن جماعة محمد بن ابراهيم: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي – دار الفكر – دمشق – ط٢ – ١٤٠٦هـ.

٨- الجوهري اسماعيل بن حماد: الصحاح – دار العلم للملايين – بيروت – ط٤ – ١٩٩٠م.

٩- الحاكم النيسابوري: المدخل في اصول الحديث – نشر دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ – ١٣٩٧هـ.

١٠- الحميدي عبد الله بن عيسى: مسند الحميدي – دار الكتب العلمية ومكتبة المتنبي (د. ت) وطبعة دار المأمون للتراث – دمشق – دار المغني – المدينة المنورة – ط٢ – ١٤٢٣هـ.

١١- الخطيب البغدادي: الكفاية في معرفة اصول علم الرواية – دار الهدى – مصر – ط١ – ١٤٢٣هـ.

– تاريخ بغداد – تحقيق د. بشار عواد – دار الغرب الإسلامية – بيروت – ط١ – ١٤٢٢هـ.

١٢- الخليلي: الخليل بن عبد الله: الإرشاد في معرفة علماء الحديث – مكتبة الرشد – الرياض – ط١ – ١٤٠٩هـ.

١٣- الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن: سنن الدارمي – دار المغني – السعودية – ط١ – ١٤٢١هـ.

١٤- الداودي احمد بن نصر: مجموعة الفتاوى مجمع الملك فهد – المدينة المنورة (د. ط) – ١٤١٦هـ.

١٥- الدوري عبد العزيز: نشأة علم التاريخ عند العرب – مركز زايد للتراث والتاريخ – الامارات (د. ط) – ١٤٢٠هـ.
١٦- ابن رجب عبد الرحمن بن احمد: شرح علل الترمذي – دار العطاء الرياض – ط١ – ١٤٢١هـ.
١٧- السيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر: تدريب الراوي – دار الكلم الطيب – دمشق – بيروت – ط٣ – ١٤١٧هـ.
١٨- الصالح صبحي: علوم الحديث ومصطلحه – دار العلم للملايين – ط١٥ – ١٩٨٤م.
١٩- ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح – تحقيق نور الدين عتر – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط٣ – ١٤٠٤هـ.
٢٠- عدنان ملحم: المؤرخون العرب والفتنة الكبرى – دار الطليعة – بيروت – ط٢ – ٢٠٠١م.
٢١- العراقي عبد الرحيم بن الحسين: شرح التذكرة والتبصرة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢٣هـ.
٢٢- العمري أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط٦ – ١٤١٥هـ.
٢٣- الفيروز ابادي ابو الطاهر: القاموس المحيط – نشر مؤسسة الرسالة – ط٨ – ٢٠٠٥م.
٢٤- القاسمي جمال الدين: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت – ط١ – ١٤٢٥هـ.
٢٥- الكتاني محمد عبد الحي: فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات – نشر دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٩٨٢م.
٢٦- المروذي مقدمة كتاب العلل ومعرفة الرجال لاحمد بن حنبل – تحقيق وصي الله محمد عباس – دار الخاني – الرياض – ط٢ – ١٤٢٢هـ.
٢٧- النووي محيي الدين: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في اصول الحديث – دار الكتاب العربي – ط١ – ١٤٠٥هـ.
٢٨- النيسابوري مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم – دار السلام + الرياض – دار الفيحاء – دمشق – ط٢ – ١٤٢١هـ.
٢٩- الواقدي محمد بن عمر: المغازي – دار الكتب العمية – بيروت – ط١ – ١٤٢٤هـ.

٣٠- ياسر احمد نور: مصادر السيرة النبوية بين المحدّثين والمؤرخين – بحث مقدم لنيل جائزة نايف بن عبد العزيز ال سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة – ط١ – ١٤٢٨هـ.